مهرجان الثقافة العربية والكردية

كلاويز.. محطّات ثقافية في بغداد

محمود النمر

جانب من الحضور

حين تجسدت الطينة الأولى ، حروفا وكلمات ، وحين انتبهت الأرض لزخرف البشر وخطت خطاهم جداول من ظلال، وتفقعت ملامح أياديهم بحيرات ومحيطات، مرحباً بكم نحو ثقافة عربية كردية متفاعلة ، مرحبا بكم في هذه البصمة الوطنية المميزة ، كانت هذه الكلمات للشاعر عمر السراي الذي قدم مهرجان "كلاويز"، الذي انطلقت فعالياته في فندق قصر السدير ببغداد – شارع السعدون، للفترة من ٧- ٨ حزيران الحالي ، والذي حضره الملا بختيار نائب رئيس إقليم كردستان ، والأستاذ فرياد راوندوزي عضو مجلس النواب ومستشار رئيس الجمهورية د. موفق دركلي، ورئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين الناقد فاضل ثامر .

كانت أول فقرة في المهرجان عزف منفرد على آلة العود للفنان جواد محسن، ثم ألقى كلمة الافتتاح الناقد ياسين النصير، قائلا :إن هدف الملتقى الأول للثقافة العربية الكردية هو أن نؤسس خطابا ثقافيا جديدا يوازي الخطاب السياسي المتشظي الآن، ومن اجل أن ننجح في مهمتنا خصصنا مجموعة من البحوث التي تتركز في توطيد الوحدة الوطنية والثقافة الوطنية ونسعى في المؤتمرات إلى لقاءات قادمة والى السعي في هذا الطريق الوطني الواسع .

الناقد فاضل ثامر رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين أشار في كلمته إلى الوحدة الوطنية وهو يحمل مجموعة من الرسائل الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهذا يؤكد ان المثقف العراقي حريص الى درجة كبيرة على وحدة جميع مكونات الشعب العراقي، وهو يقف ضد أي محاولة لدق اسفين بين هذه المكونات، لقد كان المثقف العراقي عبر تاريخه يقف دائما من اجل تماسك هذه المكونات.

وجاء في كلمة نوزاد احمد ممثل مؤسسة – كلاويز – إننا فعلا أمام زمن جديد وحقبة جديدة، على كل مثقف أن يساهم في بنائه منطلقا من قيم الإخاء والتسامح ، بغية إرساء أسس سليمة لبناء ثقافة واعية منفتحة غير قمعية ،ثقافة من اجل ترسيخ قيم إنسانية وليس ثقافة الأيدلوجيات التي تسعى الى ترسيخ الهيمنة الاثنية او المذهبية او الطائفية .

وضمت الجلسة الأولى عددا من البحوث اشترك فيها الأساتذة: ملا بختيار، فالح عبدالجبار، عامر حسن فياض، عبد الكريم يحيى الزيباري، ياسين النصير، بشير حاجم ، وقد انصبت محاورها حول كردستان والتعايش السلمي بين العرب والكرد ونقد العقل الكردستاني ، واكتشاف الذات والتاريخ ، وترأس الجلسة القاص والمترجم حسين الجاف الذي اكد على لحمة الشعب العراقي في كافة أطيافه وقال : صباح الورد والفكر والشعر من ربى كردستان العزيزة المضمخة بأريج السوسن الجبلي والنرجس والشوبو والليمون ومن أعماق قلوب أهاليها الطيبين ، جاء إلى بغداد الحضارة والتاريخ هودج ارسي كلاويز وحل كرنفال الكلمة الكردية المبدعة.

وقال عضو المكتب السياسي في الاتحاد الوطني الكردستاني الملا بختيار: إن التفاعل بين الثقافتين العربية والكردية ، ولأول مرة وجه لوجه نرغب في ان نطلع الى بعض الأمور الثقافية والسياسية في مثل هذا الملتقى ، متمنيا أن نتمكن من التفاعل تفاعلا ديمقراطيا وحضاريا ووجدانيا .

وركز بختيار على حاضر كردستان السياسي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي، مرورا بالتاريخ النضالي للشعب الكردي الذي وقف ضد الطغيان البعثي والقومي عبر عقود كثيرة دفع خلالها الشعب الكردي قوافل من الشهداء، بعدها تمكن من نيل الحرية وبناء إقليم حر ديمقراطي تعددي يحفظ كرمة الإنسان .

في اليوم الثاني للمهرجان كانت الجلسة الصباحية – المحور الاول – تحمل عنوان " برامج المؤسسات الثقافية "، أدارتها القاصة عالية طالب، التي قالت سوف نتكلم عن واقع المؤسسات الثقافية العاملة في بغداد وفي إقليم كردستان ، ما الذي تفعله لتنشيط واقع المشهد الثقافي العراقي ،الذي تقدمه في كل المراحل التي تفعل السياسة فعلها لتشويه واقعنا ،دائما الثقافة ترمم أشياء كثيرة وتردم فجوات بين واقع سياسي واجتماعي وأيدلوجي وفكري وتاريخي أيضا .

اشترك في الجلسة كل من د. غادة العاملي عن مؤسسة المدى، الأستاذ نوزاد احمد عن مؤسسة كلاويز، الشاعر عمر السراي عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، الناقد عباس عبد جاسم عن جريدة الاديب، والإعلامية سناء وتوت عن مؤسسة نادي الصيد.

وقالت د. غادة العاملي مدير عام مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: سوف ألخّص كل ما يخص فعاليات وأنشطة ومرافق "المدى" وفي الوقت نفسه سأسلط الضوء على بعض ما قدمته المؤسسة، وبعضه خافٍ على الكثير منكم من خلال الأنشطة التي تقدم للخارج والأنشطة التي تقدم كدعم للمؤسسات الفنية والمؤسسات الثقافية الصغيرة .

وأوضحت العاملي: تسعى (المدى) كمؤسسة إلى تأمين مناخات إعلامية وثقافية حرة وديمقراطية خارج الأطر الرسمية والحزبية، والانفتاح إعلامياً وثقافياً على العالم الخارجي وصولاً إلى التكامل الثقافي عن طريق الحوار والتفاعل مع ثقافات ومنجزات الشعوب والأمم الأخرى من خلال الفعاليات والنشاطات الثقافية والإعلامية، وعبر ترجمة عيون الأدب والثقافة الإنسانية إلى العربية وتوفيرها للمثقفين والقراء في العراق والعالم العربي.

وأضافت العاملي في عام ١٩٨٣ بدأت الخطوات الأولى على طريق تأسيس "المدى"، وتمثلت الخطوة الأولى بإطلاق مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، وصدرت عن المركز مجلة النهج الفكرية الثقافية، وفي قوام مجلس تحريرها نخبة من المفكرين والباحثين من مختلف البلدان العربية، واهتم المركز وكذلك المجلة بدراسة القضايا والظواهر البارزة في ميادين الاجتماع والاقتصاد والسياسة والثقافة بوجه عام، من وجهة نظر نقدية وتأسيسية.

وللتعمق بالبحث والدراسة، نظم المركز عشرات اللقاءات والطاولات المستديرة والمؤتمرات الفكرية والسياسية والثقافية، شاركت فيها بالبحوث والمداخلات مئات الشخصيات الاختصاصية، العربية والأجنبية، وقد نشرت "النهج" البحوث والخلاصات والاستنتاجات التي أقرت في الفعاليات المذكورة.

وفي محاولة لنشر الفكر التقدمي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، بدأ مركز الأبحاث بتشكيل نواة دار نشر أصدرت عشرات الكتب وأسهمت في إغناء المكتبة العربية.

وذكرت د. غاده العاملي جميع الأنشطة والمهرجانات والدعم المادي والمعنوي الذي تقدمه المؤسسة إلى الساحة الثقافية العراقية وكذلك إلى المثقف والاحتفاء به وإصدار الكتب من خلال مطابعها وإقامة المهرجانات وأسابيع "المدى" والمحاور الفكرية التي تقيمها في كل أسبوع ما عدا الحراك الثقافي الذي تقيمه في بيت المدى في كل جمعة في شارع المتنبي، إضافة الى الملاحق اليومية التي تصدر عن جريدة المدى.

في محور الحديث عن دور المؤسسات الثقافية أكد الناقد ياسين النصير على أهمية هذه المؤسسات لما تقوم به من دور تعليمي وتثقيفي ورفد الثقافة العراقية بما هو ملزم عليها بعد أن همشت الثقافة وغيبت بقصدية، وان هذه المؤسسات أخذت على عاتقها توعية الإنسان، بكل ما تملك من قدرات مادية ومعنوية وفكرية وثقافية.

تلويحة المدى

▪ شاكر لعيبي

قراصنة المدى

هذا العنوان يمكن أن يكون لقصيدة أو لفيلم مغامرات، لكنه لم يطلع إلا من مناسبة نثرية وواقعة وثائقية، فإن هؤلاء الذين يودّون حجب صحيفة "المدى" عن قراء النيت عبر عمليات القرصنة المستمرة والهاكر الإلكتروني التي نشهدها منذ بعض الوقت، لا يسعون إلى تحجيم وإسكات صوت السياسي وحده، إنما يسعون أيضاً إلى تدجين الثقافة العراقية التنويرية وحجبها عن العالم. تستهدف العملية إذنْ الثقافة الوطنية الديمقراطية العريقة في العراق، ويجد جميع كتّاب المدى أنفسهم، في العراق وخارجه، منزعجين من حجبهم، كما أحسب.

أولاً: أفترض أن عملية القرصنة هذه قادمة من داخل البلد نفسه، ولعلها من عاصمته. وفي ذلك دلالة سلبية على الاستخدام الممكن لأجهزة الدولة الإعلامية والإلكترونية لأغراض لا تخدم الصالح العام وإنما لأغراض ضيقة وأمر في نفس يعقوب.

ثانياً: لا يليق ببلد اتفقت أطرافه، نظرياً، على التعددية وضمان الحريات الفردية والجماعية وإعلان الرأي المخالف أن يمنع منبراً ثقافياً عبر طريق غير قانوني، وفي الخفاء.

ثالثاً: تعبّر عملية مثلها عن نكوص سياسي يعيدنا إلى شيء من نظريات "العمليات السرية" التي تستهدف الخصوم السياسيين والأيديولوجيين. هنا لم يخرج منفذو القرصنة قيد أنملة عن عقلية النظام العربي الشمولي، واستطراداً العراقي السابق، في "إلغاء" الخصوم بكل الوسائل المتاحة. بمعنى آخر فإننا أمام العقلية نفسها رغم تغيُّر الظروف ورغم جميع الإدعاءات بقبول الآخر والمختلف.

رابعاً: لا تبرهن هذه القرصنة ما قاله البعض منذ بعض الوقت من أنه قد هزم الثقافات العلمانية والماركسية والليبرالية. لو كان الحال كما قيل لما شهدنا محاولات الحجب القسريّ المحمومة المكرّرة.

خامساً: إن المعاداة الصريحة للثقافة الوطنية، غير المنغلقة على أيديولوجية ثابتة، تعبّر الصحيفة عن شطر حيوي منها في عراق اليوم، هو ما تسعى إليه عمليات الإسكات الإلكتروني الراهنة. لكن الثقافة الوطنية ضاربة الجذور بسبب طبيعة التكوين الجيو – سياسي والإثني والتاريخي للعراق القديم والحديث.

سادساً: مسعى المنع الإلكتروني يطال في الحقيقة مسألة الحرية عموماً، وحرية التعبير بشكل خاص. فالحريات لا تتجزأ، وما هو مسموح لك به قانونياً مسموح للجميع به، دون تفضيل لأحد على آخر، في السلطة وخارجها.

سابعاً: لو صحّتْ فرضية أن جهات تستخدم أجهزة الدولة، بعلمها أو دون علمها، تقف وراء عملية الحجب الرقميّ فإننا أمام ما يسمى قانونياً "سوء استخدام السلطة Abus de pouvoir" أو التعسف باستخدامها (وبالإنكليزية Abuse of Power) التي يعاقب عليها القانون نفسه.

ثامناً: أصوات المثقفين العراقيين والعرب الذين يكتبون في المدى غير مرحّب بها، دون شك، بالنسبة للقراصنة. إذ بعدما تعرّض بعضهم للمنع في البلد طيلة الثلاثين عاماً الماضية، ها هو المنع مداوَرَةً، بلباس مهذب وخنق هادئ بقفازات حريرية.

تاسعاً: تدل العملية على ضيق أفق بالمعاني كلها، سياسية وثقافية وإلكترونية، لتعبر بالتالي عن مزاج متعكر، عاميّ، عن "فشة خلق"، لا تدرك إمكانات عالم الاتصالات الحالي الذي لا يمكن لأحد تقريباً أن يقوم فيه بحجب المعارف والمعلومات والمعطيات العلمية والنصوص الأدبية.

عاشراً: تستدعي مواجهة عمليات القرصنة على الصحافة الوطنية تثبيت مواد جديدة في القانون العراقي، تحدّد وتمنع وتعاقب على سوء التصرف بالعالم الإلكتروني، وتحمي حرية الصحافة من عمليات القرصنة بجميع أشكالها وتتابع مرتكبيها أمام المحاكم.

هذه الكلمة تنوي الذهاب أبعد من المناسبة الراهنة وتسعى إلى طرح السجال والتفكير مجدّداً بحدود حرية التعبير في نطاق "العالم الرقميّ" الجديد على بعض ساسة العراق الجدد، وبعض المشتغلين فيه بالثقافة والفكر.

أفق من كلاب مدرعة

عواد ناصر

رايانا لا ترتفع إلا عندما نحني، والرعود تشوش الفضاء ليصاب الناس بالخرس،
والشجرة الوحيدة التي هناك، أعتمت أمام عدسات التلفاز.
في الليل نلملم أهواءنا البردانة حول المنقلة وشتاء الله يصيبنا واحداً واحداً بأمراض الطفولة اليسارية،
الشارع، في Sudbury Hill، حيث يقيم البولونيون القدماء يضج بهنود مسلمين يحبون عبد القادر الجيلاني،
والريات ترتفع لامعة في ذاكرتي،
والأشجار معتمة:

كلما ارتفعت رايةٌ
أعتمت شجرةْ.

×××××××

أنا أحبك عندما لا أحبك
ونحن الاثنين نغدو سرباً من الأمواج تحت قنطرة مهملة حيث شيدوا جسراً من الجماجم:

كلما قامَ جسرٌ
غرقت قنطرةْ.

×××××××

أكتب لك بعض ألمي المتكسر خلف حنجرة غليظة، ولم يعد لرسائل العشاق السابقة رائحة القبلات، والسيرة البديعة للبطل تغطي البلاد وتمحونا كلمة كلمة، فأين هي أقلامنا الفقيرة التي رسمنا بها ثراء الخيال الفصيح؟:

كلّما جفّ هذا القلمْ
كسرتْ نفسها محبرةْ.

×××××××

نحن البصيران بما لا يبصرونَ: الخطى تتعثرُ في حدائق الملك، الملك العاري، والمزهرية كسرها "الأبله" وهو ينحني بأتيكيت لصاحبة السعادة، ودستويفسكي يرى إلى روايته ببصر زائغ بعد نوبة صرع، لأنه لا يحتمل النظر إلى العالم الأعوج من دون أن يسقط صريعاً:

كلّما زاغَ للشاعر المبتلى بصرٌ
صحّحَ (العارفونَ) له بصرهْ.

×××××××

عبرنا الحدود أخيراً، حدود ثلاث دول بالتمام، ولم يعد يفصلنا سوى نهير عن (الوطن). الزمزمياتُ فارغة، ولم يبق من طعام سوى أن نلتهم السكّر، لا شيء غير السكر. النهايات هناك، خلفناها خلفنا، والبدايات لها مذاقٌ حلو: مذاق السكّر الذي أوشك أن ينفد.
لكننا نسيرُ، وأنا الغريبُ لا في وطنه ولا في غربته:

كلّما فرّ، عبر الحدود، الغريبْ
ثمّ أفقُ كلابٍ مُدرّعةٍ تقتفي أثَرَهْ.

×××××××

الكثير من الجوع، والكثير من العطش، والألغامُ تنتظرُ عثراتنا في نيسم الفجر، لكن القبّرات أشاعت فيضاً من السلام في سماء الأرواح الفزعة، وثمة غرابٌ أيضاً:

كلّما عبرتْ قبّرةْ
تغوّط ذاك الغرابُ على قدمِ الساحرةْ.

×××××××

أيها الوقورونَ كالحمير، أيها الأتقياءُ المريبونَ، كيف لنا أن نرى أرواحكم، وأنتم تضعون كل هذه الأقنعة؟ لا بأس، فالشيخُ الحكيمُ يقبعُ هناك في منسكه يحيطُ به حواريوه ووكلاؤه وحماية أوراقه المتهرئة، لحيتهُ بيضاءُ أو سوداءُ تتدلى من أعلى العَرش إلى حضيض الكفرة حيث نقبعُ غير مستسلمينَ، فليس لنا سوى أن نسخرَ ونحتسي كلامنا المحرّم، وقمصاننا لم تزلْ مرسومة بقلوب خضراء وتضحك لها الريح وتنتشي تحت خطانا الأشنات ونحن نسيرُ فوق الماء بلا عكّازات، نحن الذين نهضنا فجراً لتنظيف المدارس من عصيِّ المعلمين، وأنتم الجادّونَ ونحن الساخرونَ:

كلّما جدّ جدٌّ،
واستعارَ الجميعُ قناعَ الوقارْ
اندلعتْ فكرةٌ ساخرةْ.

×××××××

لا تضعوا على قبر الشاعر أية شاهدة، فله قصيدةٌ في مكان ما تختصر سيرته، والخنزير الذي داس العوسج في غابة حياته سيجد وجهاً معافى، رغم حزنه، ينتحي بالقتلى ليستأنف معهم حياةً سالفة، في مقابر الأشجار الجماعية، والشاعر الطفل/ الطفل الشاعر كان هناك، مع الحشد يفسّر ألعابه ولا يفهمه أحد، لأنه كان يرسم ويمحو، والمنظر الطبيعي قريب جداً من مقبرة ليس فيها أية شاهدة لقبر شاعر، فالمشحوف لا يحتاج الفنار على ساحل المقبرة:

كلّما مرّ حشدٌ من الجثث السافرةْ،
تثاءب طفلٌ على دفترِ الرسمِ..
هل يرسمُ المقبرةْ؟

لندن ٦ حزيران (يونيو) ٢٠١٢